

مساوى الفرقة

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين(١).

من أساليب الاستعمار

قال الله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(٢). لقد خرج العراق من أيدي المسلمين الذين يشكل الشيعة (٨٥%) (٣) منهم ووقع - بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت في الشرق الأوسط - بيد الغربيين وهم الآن يديرونه ويحكمون قبضتهم عليه، ولكن بواسطة أذنانهم البعثيين المتسلطين على الحكم.

ومن المعلوم أن مخطط الغربيين يبتنى دائماً على فرض الحاكم المتجبر حتى إذا لم يرضه الشعب المسلم؛ لأن المستعمرين يريدون من الحاكم في البلاد الإسلامية أن يكون لهم كالبقرة الحلوب؛ لذلك فإنهم إذا ما شعروا يوماً بأن صداماً (٤) - كمثال - لم يستطيع تنفيذ ما يخططون له فإنهم إما أن يقتلوه ويأتون بغيره، أو يقومون بواسطة أذنانهم الآخرين بانقلاب عسكري يقتلون من خلاله الحاكم العميل ويأتون بحكومة تغاير حكومته ولو كانت مانلة إلى الاعتدال نسبياً، كما قاموا بذلك في تركيا.

ومشاكل البلاد الإسلامية حالياً ازدادت بدرجة كبيرة، بحيث أصبحت القوانين والمقررات التي تحدد مسار الدولة داخلياً وخارجياً تأتي من الغرب، وبعض السبب في ذلك يقع على عاتق المسلمين أنفسهم؛ لأنهم لا يهتمون بالتوعية والتثقيف وتنظيم أمورهم لكي يأخذوا بزمام إدارة بلادهم بأيديهم. ومن الواضح إذا لم يهتم الإنسان لحل مشاكله ويبدى جانب العجز في إدارة أمورهم سيعطي للآخرين الفرصة للتدخل في شؤونهم وأخذ زمام الأمر من يده.

١ - أُلقيت هذه المحاضرة بتاريخ: ٢٧/٢/١٤٠٥ هـ.

٢ - سورة آل عمران: ١٠٥.

٣ - هذه النسبة خرجت بها الاحصائية التي قام بها السيد محمد الصدر الذي كان رئيساً للوزراء في العهد الملكي وقد نشرت في حينها في الصحف العراقية.

٤ - صدام حسين التكريتي سياسي عراقي، ولد في تكريت (١٩٣٧م) رئيس الجمهورية ١٩٧٩م بعد تنحيته للبكر، هاجم إيران ١٩٨٠م فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات، احتل الكويت ١٩٩٠م فاندلعت حرب الخليج الثانية وخرج الجيش العراقي منها، وقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بتدمير العراق ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد، انتفض الشعب فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية.

السقوط والانحطاط

هناك صفتان إذا اتصف بهما أي مجتمع فانه سيؤول إلى السقوط والانحطاط، وهاتان الصفتان قد اجتمعتا عند بعض المسلمين أخيراً.

الأولى: النزاع

لقد استفحلت هذه الظاهرة في بعض المجتمعات الإسلامية بشكل عجيب، بحيث لا تراهم إلا في نزاع دائم فيما بينهم، مما أدى ذلك إلى اتحاد الشرق والغرب ضد المسلمين، وصاروا يتلاعبون بهم ويحركونهم ذات اليمين وذات الشمال كسحاب الربيع الذي تتقاذفه الرياح وتفرقه هنا وهناك ويعملون في بلادهم ما شاؤوا من دون أي مانع أو رادع.

بذور التفرقة

ذات يوم كنا بصحبة المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي (رحمه الله) (٥) ذاهبين لزيارة مرقد الشهيد الحر الرياحي (رضوان الله عليه) مشياً على الأقدام، وذلك في الفترة التي كان زوار العتبات المقدسة يتوافدون بشكل مكثف من إيران وغيرها إلى العراق للزيارة، وفي أثناء ذلك مرت بجوارنا عربة يجرها اثنان من الخيول تحمل مجموعة من البدو، فصاح أطفال تلك المنطقة بصوت واحد (حاج عرب موش ميخورد) ومضمونها (العرب يأكلون الفئران) ثم مشينا مقدار من الطريق فمرت عربة أخرى فيها مجموعة من الزائرين الإيرانيين، فصاح أطفال تلك المنطقة وأطلقوا كلاماً أيضاً مخالف وغير صحيح لإهانة الزائرين.

أنظر.. في هذه المسافة القصيرة كم تتحسس بذور التفرقة والنزاع بين المسلمين، إنها سياسة استعمارية لإثارة النزعات فقد بذرت بهذا الشكل في بلادنا وصار بعض أبناءنا وأطفالنا وسيلة لتنفيذها بسبب عدم الوعي والثقافة.. ومن الواضح أن هذا الكلام السيئ وإن كان قد صدر من أطفال إلا أنه من شأنه أن يثير حفيظة الآخرين وبسبب عدم الوعي أيضاً، وهكذا يبعثهم للمقابلة بالمثل وتستمر هذه التصرفات السيئة وتنعكس في جوانب أخرى من الحياة حتى تتحول الأمة الواحدة التي رفع الإسلام الحواجز النفسية والأرضية منها إلى أمم مشتتة متفرقة البعض يتهجم على البعض الآخر ويسخر منه وقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٦) ومعلوم أن هذا السلوك يؤدي إلى ضعف الأمة وانهيارها، ويوقعها لقمة سائغة في فم الاستعمار الذي ما فتى يخطط لتنفيذ هذه الأساليب والخطط.

٥ - الخطيب البارع الشهيد الشيخ عبد الزهراء الكعبي (رحمه الله)، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٣٣٩ هـ يوم ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وبعد جهاد طويل سقوه السم في يوم شهادة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتوفي مسموماً شهيداً عام ١٣٩٣ هـ اشتهر (رحمه الله) بأسلوب خطابي مميز.

٦ - سورة الحجرات: ١١.

وقد قال تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)(٧).

الثانية: العنف والتهور

الناس بطبيعتهم لا يميلون إلى الأفراد العنيفين وسيني الأخلاق ولا يجلسونهم بملء اختيارهم، وإذا حدث وأن استطاع بعض أصحاب القدرة والعنف استغلال وخداع مجموعة من الناس لفترة. فإن أوراقهم سرعان ما تنكشف وينقلب الأمر عليهم وينفض الناس من حولهم إن لم ينقلبوا عليهم.

ونحن نرى الإسلام الذي بقي لحد الآن، وسيبقى إلى أبد الدهر إنما هو بسبب مجموعة من الخصائص والسمات الفريدة، منها دعوته السليمة حيث استطاع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار ع أن يدخلوا الإسلام في قلوب الناس عن طريق الكلام اللين، ومكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام حيث يقول تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(٨).

وقد جاء في بعض التفاسير عن لين وحسن خلق الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله):
(معناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لأنك تأتيهم مع سجاحة أخلاقك وكرم سجيكتك بالحجج والبراهين (لَوْ كُنْتَ) يا محمد (فَظًّا) أي جافياً سيئ الخلق (غَلِيظَ الْقَلْبِ) أي قاسي الفؤاد وغير ذي رحمة ولا رافة (لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أي لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك...)(٩).

ويقول الله تعالى في آية أخرى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)(١٠).
فيأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بأن يلين جانبه ويتواضع لهم ويحسن معاملتهم، لأن تواضع القادة وحسن معاملتهم من شأنها أن تزيد محبة الناس وتشدهم إليهم أكثر.

من سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (ان يهودياً كان له على رسول الله (صلى الله عليه وآله) دنائير فتقاضاه. فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك.
فقال: فاني لا أفارقك يا محمد حتى تقضييني.

فقال: إذا أجلس معك، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء والآخره والغداة، وكان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟
فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟!)

٧ - سورة آل عمران: ١٠٣.

٨ - سورة آل عمران: ١٥٩.

٩ - تفسير مجمع البيان: المجلد الأول ص ٥٢٧ تفسير سورة آل عمران.

١٠ - سورة الشعراء: ٢١٥.

فقال (صلى الله عليه وآله): لم يبعثني ربي عزوجل بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا متزین بالفحش..(١١).

هذا الحديث يعكس لمحة موجزة عن أخلاق وسيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) في اتباعه سياسة اللاعنف وعدم التهور في مواقفه الظاهرية والباطنية، وهذا اللين وانسراح الصدر هو أحد العوامل التي جذبت الناس إلى الإسلام من أهل الكتاب وغيرهم، وجعلت المسلمين أيضاً يتمسكون بالدين الإسلامي أكثر بإيمان عال ويعملون لنشره بين الناس بإخلاص وتفان، على العكس من الذين يتبعون مبدأ العنف والتهور فعقائدهم تحجمت بل واندثرت وإن كان البعض يستبطن العنف ويظهر العطف واللين في بعض الأحيان فإنه سرعان ما ينكشف وينتهي به المطاف ولا تبقى له نائرة فقد قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (ما أضمر أحد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)(١٢) لذا نحن نرى الإسلام باقياً بقاء الدهر؛ لأن مبادئه تعتمد على أساس اللين وسعة الصدر واللاعنف وقادته الكرام النبي وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) جسّدوا هذه المبادئ السليمة بصدق وإخلاص الأمر الذي زاد من قوته وانتشاره في الأرجاء وخلوده.

من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)

ابن الكوّاء هذا المنافق الخارجي، كان مشاكساً لأمر المؤمنين (عليه السلام) وهو في أوج حكومته الواسعة التي كانت ذلك اليوم أوسع حكومة على وجه الأرض مساحة وعدداً، إضافة إلى أنه (عليه السلام) مفروض الطاعة من الله ورسوله، فقد كان ابن الكوّاء يؤذي الإمام بعناده واعتراضاته المتكررة في السوق والمسجد وبأسلوب خال من اللياقة، وفي رواية عن كتاب البحار للمجلسي (رحمه الله): (كان علي (عليه السلام) في صلاة الصبح فقال ابن الكوّاء من خلفه: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(١٣) فأنصت علي (عليه السلام) تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته، ثم أعاد ابن الكوّاء الآية فأنصت علي (عليه السلام) أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكوّاء فأنصت علي (عليه السلام) ثم قال (عليه السلام): (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون)(١٤) ثم أتم السورة وركع(١٥). أنظر.. مع أن الإمام (عليه السلام) كان الرئيس الأعلى للدولة، ويتمكن أن يتخذ موقفاً صارماً ضد ابن الكوّاء - الذي كان مواطناً عادياً - ولنفاقه ومشاكسته المتكررة للإمام (عليه السلام) أصبح منبوذاً في المجتمع، ومع استحقاقه للعقوبة الرادعة إلا أن الإمام (عليه السلام) لم يبد أي موقف صارم أو شديد تجاهه. وهذا جانب

١١ - بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢١٦ ب ٩ ح ٥.

١٢ - نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٦.

١٣ - سورة الزمر: ٦٥.

١٤ - سورة الروم: ٦٠.

١٥ - بحار الأنوار: ج ١ ص ٤١ ب ٤٨ ح ١٠٤.

بسيط من معاملة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والحاكم الأعلى للبلاد الإسلامية آنذاك، فقد تمتع (عليه السلام) بالحكمة والصبر وسعة الصدر ولين الجانب مع أعدائه من المشركين والمنافقين. واستطاع (صلوات الله وسلامه عليه) بذلك أن يديم هذه العقيدة الإسلامية ويرسخها في القلوب والضمائر التي أثبت ركانها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخاتم الأنبياء ﷺ بفعل أخلاقه وسيرته الكريمة وتعامله مع الناس باللين واللاعنف.

أسلوب القرآن

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (١٦).

نزلت هذه الآيات على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حول مسجد ضرار الذي بناه المنافقون في مقابل مسجد الرسول ومسجد قباء، ومع ذلك فإن أسلوب القرآن الحكيم لم يتصف بالعنف فقد جاء الأمر هكذا بقوله تعالى: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) (١٧) وفي سبب نزول هذه الآيات وتفسيرها قال الطبرسي (رحمه الله): (قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان يأتيهم فآتاهم وصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبني مسجداً فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلاً، وقيل خمسة عشر رجلاً، منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبيل بن الحرث، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه لنا، وتدعو بالبركة. فقال (صلى الله عليه وآله): (إني على جناح سفر ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه، فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد). وفي معنى الآية قال الطبرسي: (ثم ذكر الله سبحانه جماعة أخرى من المنافقين بنوا مسجداً للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال - تعالى - : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا) والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسماً لبقعة مخصوصة بنيت للصلاة فالاسم عرفي فيه معنى اللغة (ضراراً) أي مضارة يعني للضرر باهل مسجد قباء أو مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليقل الجمع فيه (وكُفْرًا) أي وإقامة الكفر فيه.. (وتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي لاختلاف الكلمة وإبطال الإلفة وتفريق الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أي أرسدوا ذلك المسجد واتخذوه وأعدوه لأبي عامر الراهب. وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل. وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما قدم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر... (وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ) معناه أن هؤلاء يحلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل

١٦ - سورة التوبة: ١٠٧.

١٧ - سورة التوبة: ١٠٨.

الضعف والعلّة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبت سريرتهم فقال: (وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيًا (١٨).

والخلاصة: إن أسلوب القرآن مع المنافقين والمتأمرين لم يكن بدرجة من العنف، وإنما هو أسلوب فضح وخزي للمتأمرين، وأما الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فلم يقيم بالانتقام من القانمين على بناء المسجد والمنافقين ولم يرسل إلى جلبهم لمحاكمتهم أو عقابهم، وحتى أبو عامر الراهب الذي تقدمت قصته وهو رئيس المنافقين والمتأمر مع الروم لم يوجه له الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حكماً أو من يقتص منه وإنما اكتفى الرسول (صلى الله عليه وآله) بتهديم المسجد وفضح من بناءه عن طريق الآيات القرآنية وامتناعه من الصلاة فيه.

والذي أثر في هؤلاء المنافقين أكثر أن النبي (صلى الله عليه وآله) عاملهم بلين وعطف دون أي عنف يذكر.

واقعا المعاصر

في منطق القرآن الكريم جميع المسلمين بلغاتهم وقومياتهم وألوانهم المختلفة أمة واحدة حيث يقول تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (١٩).

وقال تعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (٢٠).

كما أن البلاد الإسلامية كلها بلد واحد، وقانون واحد، وحكومة واحدة في نظر الإسلام، وهذه الوحدة كانت متجسدة في حياة المسلمين لقرون عديدة، حتى إذا دخل الاستعمار بلادنا وأثار النعرات والتفريقات بين المسلمين فساقهم إلى التشتت لكي يعيش عليه.

حرمة التفارقة

إن أي تفريق بين المسلمين يعتبر من أشد المحرمات في الإسلام لأنه معاون على الإثم والعدوان الذي يهدفه الاستعمار هذا أولاً. وثانياً: أنه تشتت للأمة الواحدة وتسهيل لسيطرة الكفار على بلاد الإسلام، سواء كان التفريق بالأراضي ووضع الحدود الجغرافية بين بلاد المسلمين أو بالجنسيات المتعددة أو ما أشبه ذلك.

إننا نجد الآن العراقي خارج حدود العراق في البلاد الإسلامية الأخرى يعتبر أجنبياً، ويعامل معاملة الأجانب، وكذلك المسلمون الآخرون يعتبرون داخل العراق من الأجانب، وهذا الأمر لا يختص بالعراقي بل ينطبق على المصري والإيراني والأفغاني وسانر المسلمين، وهذا عمل لا يرتضيه الإسلام ولا ينطبق مع مبادئه وحدوية. فهذه الحدود الأرضية بين المسلمين وضعها الاستعمار من أجل تشتيتهم، والقضاء على رابطة الأخوة والأمة الواحدة التي تجمعهم، لتسهيل السيطرة عليهم ويكونوا مغنماً لبلد الكفر.

والأكثر من ذلك أن المستعمر الذي وضع هذه الحدود لم يكتف بترسيمها وتفريق جسد الأمة الواحدة، بل

١٨ - تفسير مجمع البيان: المجلد ٣ ص ٧٠ تفسير سورة التوبة.

١٩ - سورة الأنبياء: ٩٢.

٢٠ - سورة المؤمنون: ٥٢.

عمد إلى ترك مناطق حدودية محايدة ومساحة يكتنفها الغموض بين أغلب البلاد الإسلامية، حتى تكون هذه المناطق مادة للنزاع والخلاف وبؤرة للتوتر بين البلدان الإسلامية دانماً ليتمكن ساسة الغرب من إثارتها في أي وقت شاءوا، بل أحياناً نفس الدول الإسلامية متى ما أحست بشيء من القوة فأنها سرعان ما تترجم هذه القوة إلى نزاع حدودي وحرب طاحنة بينها وبين جارتها المسلمة، وتتوزع بقية الدول الإسلامية بين مناصر لهذا الطرف وذاك، ويكون الهم الأكبر لحكام أغلب الدول الإسلامية هو بناء القوة العسكرية على حساب حتى رغيف الخبز لا لمواجهة الأعداء الحقيقيين للأمة، وإنما لانتزاع بعض الأشبار من أرض البلد المسلم الجار ودون أي حساب للخسائر الحقيقية التي يتكبدها الطرفان، والآثار القريبة والبعيدة المترتبة على ذلك من امتصاص كل الطاقات المادية وتحطيم القيم المعنوية للمسلمين، فضلاً عن إيقاع المزيد من الخلاف والتشتت بينهم.

واجب المجتمع

وبسبب هذه المظاهر نحن مدعوون جميعاً لأن نسعى بكل جهودنا وطاقاتنا، بألسنتنا وأقلامنا للقضاء على كل أسباب الخلاف ومظاهر العنف والفحش والتفرقة، والهمز واللمز في المجتمعات الإسلامية، وعلينا أن نهتم بأنفسنا فنهذبها، ونتمسك باللين والرفق ليكون هذا منطلقاً لما نأمل أن نحققه من التغيير في العالم الإسلامي، وهذا الطريق وإن كانت تحفه المشاكل والصعاب والموانع الطبيعية والمصطنعة، إلا أنه الطريق الناجح للنجاة وبلوغ النصر والقضاء على أسباب التأخر والاحتياط الذي أصاب المسلمين وإلا سنبقى ننن من وطأة ذلك (والعياذ بالله).

(اللهم صل على محمد وآله، وحلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، واطفاء النائرة وضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة... وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة...) (٢١).

من هدي القرآن الحكيم

في ذم التفرقة

قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) (٢٢).

وقال سبحانه: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) (٢٣).

وقال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا

٢١ - الصحيفة السجادية: ص ١٠٤ من دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق.

٢٢ - سورة آل عمران: ١٠٣.

٢٣ - سورة الشورى: ١٣.

كَانُوا يَفْعَلُونَ(٢٤).

وقال جل وعلا: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(٢٥).

جزاء المنافقين

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)(٢٦).

وقال سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)(٢٧).

وقال عزوجل: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)(٢٨).

اللين من محاسن الأخلاق

قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(٢٩).

وقال سبحانه: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)(٣٠).

وقال عزوجل: (أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)(٣١).

من هدي السنة المطهرة

من كلمات لأمير المؤمنين (عليه السلام) في اللين والرفق:

١: (ألن كنفاك فإن من يلين كنفه يستدم من قومه المحبة)(٣٢).

٢: (من لانت كلمته وجبت محبته)(٣٣).

٣: (أكبر البر الرفق)(٣٤).

٤: (من تلى حاشيته يستدم من قومه المحبة)(٣٥).

٢٤ - سورة الأنعام: ١٥٩.

٢٥ - سورة آل عمران: ١٠٥.

٢٦ - سورة النساء: ١٤٠.

٢٧ - سورة التوبة: ٦٨.

٢٨ - سورة النساء: ١٤٥.

٢٩ - سورة آل عمران: ١٥٩.

٣٠ - سورة طه: ٤٤.

٣١ - سورة المائدة: ٥٤.

٣٢ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢٠ الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

٣٣ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢٠٧ الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

٣٤ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢١٤ الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

٣٥ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢٠٩ الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

- ٥: (من لم يَلن لمن دونه لم ينل حاجته)(٣٦).
- ٦: (الرفق لقاح الصلاح وعنوان النجاح)(٣٧).
- ومن كلماته (عليه السلام) في ذم التفرقة والعدوان:
- ١: (من زرع العدوان حصد الخسران)(٣٨).
- ٢: (المؤمن منزله عن الزيغ والشقاق)(٣٩).
- ٣: (المخاصمة تبدي سفه الرجل ولا تزيد في حقه)(٤٠).
- ٤: (شر الناس من يبتغي الغوائل للناس)(٤١).
- ٥: (من بالغ في الخصام أثم ومن قصر عنه خصم)(٤٢).
- ٦: (رأس الجهل معاداة الناس)(٤٣).

اللين من صفات المؤمن

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا أتنبئكم لم سمي المؤمن مؤمناً، لإيمانه الناس على أنفسهم وأموالهم، ألا أتنبئكم من المسلم، من سلم الناس من يده ولسانه، ألا أتنبئكم بالمهاجر، من هجر السيئات، وما حرم الله عليه، ومن دفع مؤمناً دفعة ليذله بها، أو لطمه لطمه، أو أتى إليه أمراً يكرهه لعنته الملائكة حتى يرضيه من حقه، ويتوب ويستغفر، فإياكم والعجلة إلى أحد فلعن مؤمن وأنتم لا تعلمون، وعليكم بالآناة واللين، والتسرع من سلاح الشياطين وما من شيء أحب إلى الله من الآناة واللين)(٤٤).

من مناهي النبي (صلى الله عليه وآله)

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألا ومن لطم خد مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيامة، وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب)(٤٥).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزوجل، ومن آذى

- ٣٦ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢١٠ الفصل الثاني موجبات عزة النفس.
- ٣٧ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٠ ح ٥٢١٢ الفصل الثاني موجبات عزة النفس.
- ٣٨ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٧٢ الفصل الخامس في الخصومة.
- ٣٩ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٦٤ الفصل الخامس في الخصومة.
- ٤٠ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٦٥ الفصل الخامس في الخصومة.
- ٤١ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٧١ الفصل الخامس في الخصومة.
- ٤٢ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٧٤ الفصل الخامس في الخصومة.
- ٤٣ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٧٠ الفصل الخامس في الخصومة.
- ٤٤ - علل الشرائع: ص ٥٢٣ ب ٣٠٠ ح ٢.
- ٤٥ - الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٠٠ المجلس ٦٦ ح ١.

الله فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان، وفي خبر آخر: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)(٤٦).

٤٦ - بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٥٠ ب ٥٧ ح ١٣.